

## الشعر الشعبي الثوري: قراءة في بعض المضامين و الأدوات الفنية

## revolutionary folk poetry: reading in some contents and artistic tools

شهرزاد بوسكاية<sup>\*1</sup>،<sup>1</sup>المركز الجامعي ميله ، (الجزائر)، c.boussoukaia@centre-univ-mila.dz

تاريخ النشر: 2023/03/31

تاريخ المراجعة: 2023/02/07

تاريخ الإيداع: 2023/01/01

ملخص:

إن المقاربات التي تتناول الشعر الشعبي، ما هي إلا محاولة للتذوق الجمالي لهذا النص، بغية استشعار مواطن الجمال و استجلاء الرؤية الفنية في هذا النموذج الشعري الشعبي الذي ظل ردحا من الزمن مهمشا تعروه نظرة الاحتقار و الازدراء بسبب نمطية الخطاب الايديولوجي الذي يسعى إلى إنماء الثنائيات الضدية بين الأدبين الشعبي و الفصيح.

إن للنص الشعري الشعبي من الجماليات و الفنيات و التعبير الفطري التلقائي و العفوي، و من الموضوعات الحياتية ما يجعله نصا جديرا بالدراسة و الاهتمام.

و بالإضافة إلى البعد الجمالي للنص الشعري الشعبي، فإنه يكتسي أيضا بعدا تاريخيا لكونه أرن للثورة الجزائرية، و سجل اللحظات الحاسمة، متخذا في ذلك كل الأدوات الفنية من أساليب و صور و لغة. إنه ضمير حيّ للأمة؛ ينم عن صدق شعوري و جمال إبداعي لا يقلّ في شيء عن النص الشعري الفصيح، إذ له مقوماته الفنية التي تجعل منه فنا أدبيا.

الكلمات المفتاحية: الشعر الشعبي- الثورة- الأدوات الفنية- المضامين- الجمالية- الألفاظ- الصور

**Abstract:**

*The approaches that deal with folk poetry are plainly an attempt to savor the aesthetics of this type of text, so as to feel the places of beauty and to point out the artistic vision in the folk poetry model, this latter has been marginalized for a long time, and characterized with a view of contempt and disfavor because of the stereotypy of the ideological discourse which seeks to develop the opposite dichotomies between folk and eloquent literature.*

*The folk poetry text has certain aesthetics, techniques, and its innate and spontaneous expression, and life themes, that makes of it a text worthy of study and interest.*

*In addition to the aesthetic dimension of the folk poetry text, it also has a historical dimension because it chronicled the Algerian revolution, and recorded its decisive moments, using all the artistic tools of styles, images and language.*

*It is the living conscience of the nation; It reflects emotional sincerity and creative beauty that is nothing less than the eloquent poetry text, as it has its artistic ingredients that make of it a literary art.*

**Keywords:** folk poetry - the revolution - artistic tools - contents - aesthetics - terms – images

\*المؤلف المراسل.

## تقديم:

إن الحديث عن التراث الشعبي قد أضحي حاجة ملحة فرضتها إشكالية البحث في القيم الثقافية و الفكرية الأصلية للشخصية الوطنية، و البحث في مجاله يعد بحثا أصيلا مرتبطا بالكيان الثقافي. إن هذه الحاجة بدون شك يملها الواجب و مسؤولية إثبات الذات و تحديد هويتها في خضم التهاافت الفكري و السياسي و الإيديولوجي.

و التراث الجزائري يمتاز بالتعدد و التنوع من حيث أشكاله التعبيرية: (حكايات، ألغاز، نكت، أغاني، شعر...) إن هذه الفنون التعبيرية الشعبية مرتبطة بهموم و آمال الإنسان في حركيته الثقافية و الاجتماعية و النفسية.

و الشعر الشعبي من الفنون الشعبية التي ساهمت في صناعة الثورة و التأريخ لها من خلال المعاني و الأمثال التي يستند عليها هذا الإرث الحضاري المصنف ضمن الأساليب التعبيرية الشفهية التي صنعت رصيد الثورة و كشفت عن المسكوت عنه.

و ممّا لا شك فيه أن الشعر الشعبي يمثل مقياسا من المقاييس التي بإمكاننا اعتمادها للتعرف على ذوق الأمة.

و ذهب بعض الباحثين إلى أن الشعر الشعبي هو أحس سجل للتعرف على المستوى الفكري للمجتمع من خلال دراسة تراكيبه و ايقاعه و جمالياته.

لقد نهل الشاعر الشعبي من كثير من الأبعاد الاجتماعية و العقائدية ليتوشّح بالوظيفة الاجتماعية و الوطنية، ليضحي تعبيرا مباشرا عن الممارسة اليومية للحياة في أدق تفاصيلها.

## أولا- مفهوم الشعر الشعبي:

كثيرا ما يتبادر إلى الذهن أن الشعر الشعبي ما هو إلا شعر سوقي وضيع ذلك أنه يصور طقوس الحياة بصورة يغلب عليها التعميم و بلغة عامية خالية من أيّ جمالية؛ و لئن تناول الباحثون الأشكال الشعبية بالتعريف و الدراسة، فإن الشعر الشعبي لم ينل حظه من الدراسة و التجنيس على الرغم من أهميته في رصد الأحداث و الوقائع الاجتماعية و سلطته الاجتماعية و الثقافية و شهرة مبدعيه، بل و كثيرا ما ننسأه في تصوراتنا فيما هو يتحدثانا في حياتنا الاجتماعية فضلا عن أنه يشكل ذاكرة شعبية<sup>1</sup>.

يعتبر مصطلح الشعر الشعبي من المصطلحات التي جلبت اهتمام الباحثين، بل و أثارت اختلافا كبيرا بينهم، إلا أنهم يتفقون جميعا أنه الشعر المنظوم بالعامية؛ عرّفه المرزوقي بقوله: "... يشمل كل منظوم بالعامية سواء أكان معروف المؤلف أو مجهوله..."<sup>2</sup>

و يسير مارون عبود في السياق ذاته حين يخاطب الشعراء الشعبيين، محاولا تبين معالم الشعر الشعبي: "...إن الشعور بالحياة و إدراكها الكامل لا يكونان تابعيين إذا عبرت عنهما بغير اللغة الدائرة على الألسن و بهذا يثير شاعرنا العامي "النفوس، إثارة يعجز عنها أكبر شعرائنا الرسميين"<sup>3</sup>

و قد يبدو للبعض أن دراسة الشعر و الاهتمام به و الدعوة إلى جمعه و تدوينه فيه دعوة للعامية و تفضيلها على الفصحى. و لكنها نظرة قاصرة؛ فاللغة الشعبية لا تسمو أساليبها إلا بمقدار دنوّها من لغة القرآن.

### ثانيا - مضامين الشعر الشعبي الثوري

لقد ارتبط الشعر الشعبي الجزائري منذ بداياته باللحظات الحاسمة من تاريخ الجزائر؛ إذ رصد الشاعر الشعبي كل تفاصيل المقاومة، و راح يدعو بقصائد حماسية إلى المقاومة<sup>4</sup> لأن الشعر الشعبي واسع الانتشار لما يحتويه من بناء موسيقي و اختيار للكلمات و قدرته على الانتقال من الفم إلى الآلة و من الآلة إلى القلب. و تعد قصيدة لخضر بن خلوف<sup>5</sup> التي سجل فيها موقعة مازغران<sup>6</sup> أقدم قصيدة شعبية، يقول فيها:

يا فَارِسْ مَنْ تَمَّ جِيْتِ الْيَوْمِ غَزْوَةَ مَازْغَرَانْ مَعْلُومَةَ

يا عَجَلَانَا رِيضِ الْمَلْجُومِ رِيْتِ أَجْنَابِ الشُّلُومُوشْمَةَ

يَا سَائِلِي عَنْ طِرَادِ الْيَوْمِ قِصَّةَ مَازْغَرَانْ مَعْلُومَةَ<sup>7</sup>

وسجل الشاعر الشعبي ولد عمر حدثا آخر عاشته الجزائر في أواخر القرن الثامن عشر ميلادي حين قصفت الدانمارك الجزائر<sup>8</sup>

بِسْمِ اللَّهِ نُبِدَا عَلَى وَفَا ذَا الْقِصَّةِ تَعْيَانَا

قِصَّةَ ذَا الْبُونْبِيَّةِ الْمُتَأَفَّةِ كَيْفَ جَابُوهَا أَعْدَانَا

يَا رَبِّي يَا عَالَمُ بِالْخَفَا أَهْزَمَ جَيْشُ أَعْدَانَا<sup>9</sup>

و كذلك حين احتلت فرنسا الجزائر كان الشعر الشعبي حاضرا يرصد تفاصيل الواقعة، و اتخذ أدواره الفاعلة حين اندلعت ثورة التحرير:

عَلَامْنَا الْمَنْصُورُ لَا طَيَّازَةَ لِأَبَابُورِ

بِقُدْرَةِ رَبِّي وَ الرَّسُولِ أَحْنَا اللَّيْلِ نَجِيْبُو الْحُرِيَّةِ

عَلَامْنَا نُجْمَةَ وَ هَلَالُ زَقَعْنَاهُ عَلَى الْجِبَالِ

قُمْنَا نَسَا وَ رُجَالَ أَحْنَا اللَّيْلِ نَجِيْبُو الْحُرِيَّةِ<sup>10</sup>

كما تلقف الرواة الشعبيون القصائد الثورية و راحوا ينشدونها في الأسواق و المناسبات لتحريك النفوس و إلهاب الهمم:

الْأَيَّامُ يَا أَخَوَانِي تُبَدِّلُ سَاعَتَهَا وَ الدَّهْرُ يُنْقَلِبُ وَ يُؤَلِّي فَالْحَيْنَ

الْفَرْسِيْسُ حَرَكَ لَهَا وَ خَدَاهَا لِأَهِ مَيَاتِ مُرَاكِبِ لِأَهِ مَيَاتِيْنِ

بُسْفَانِيَّتْهَا يُفْرَصُ الْحَرْبُ قِبَالَهَا كِي جَاوُ فُالْبَحْرُ بِجُنُودِ قُويِينِ

رَانِي عَلَى الْجَزَائِرِ خَزِينِ<sup>11</sup>

و قد اعترف الأريبيون أن هذه القصيدة قد ساهمت فعلا في إضرام نار الثورات، كما كان لهذه القصيدة فائدة تاريخية و إعلامية، فقد رصدت الحالة النفسية للجزائريين، و أبدعت في المقارنة بين حال الجزائريين في عهد الأتراك<sup>12</sup>

مُرْعَنَّةَ سُلْطَانَةِ الْمُدُنِ بِالْجُمْلَةِ النَّاسُ تُخَافُهَا فِي الْبَرِّ وَ الْبَحْرَيْنِ

وَ بَيْنَ الْجَزَائِرِ زَالَ الْكَلَامُ عَنْهَا يَا مُسْلِمِينَ<sup>13</sup>

كما سجلت هذه القصيدة موقف اليهود السلبي حيال القضية الجزائرية:

حَتَّى الْمُهْودُ فَرَحُوا لِيْنَا وَ نَسَاهُمْ لِكَلَابٍ تُزْغَرْتُ<sup>14</sup>

ولهذا يمكن اعتبار الشعر الشعبي سجل تاريخي؛ فقد سجل أدق التفاصيل عن تاريخ الجزائر التي ربما لا نجدتها حتى في كتب التاريخ و خاصة فيما تعلق بالثورة التحريرية، فقد كان الشاعر الشعبي جنديا من جنودها؛ يسجل مآثرها و يدعو إلى مؤازرتها مترنما بشعره في الأسواق و المناسبات و اتخذ بذلك دوره الإعلامي، بل و التحفيزي أيضا؛ إذ حفز للثورة و المقاومة و الأكثر من ذلك أنه تتبع حتى أخطاءها و هفواتها، فهذا الشاعر المجاهد دريسي البشير<sup>15</sup> يدعو الثوار إلى الابتعاد عن الخلاف، و يدعو الله أن يوحد الصفوف:

يَا رَبِّي يَا خَالِقِي بَيْنَا تُلْطَفُ وَ وَصَلْنَا يَا خَالِقِي إِلَى الْأَمَانِ

يَا رَبَّ الْعِبَادِ وَحَدَّ هَذَا الصَّفِّ تَتَّخِذُ رَجَالَنَا قَبْلَ الْأَجَالِ

يُصْبِحُ الْأَسْتِغْمَارُ مَهْرُومٌ مُكْتَفٍ وَ يُؤَلِّي مُحَقَّقُونَ وَأُدْنَا بُو الْأُرْدَالِ<sup>16</sup>

و كان أيضا من النساء شاعرات أنشدن قصائد شعبية شكلت خطرا على المستعمر منهن الشاعرة المجاهدة فاطمة منصور<sup>17</sup> أبدعت قصيدة سنة 1956 حين أرسل لها مجاهد رسالة يخبرها فيها انه على قيد الحياة بعد أن ظن الناس ان فرنسا قتلته، فأذاعت الخبر بشعرها<sup>18</sup>

جُؤَابُ الْبُعَايِدِ مِنْ مَبْرُوكٍ وَصَلْنَا

وَ أَطْلُقُ سِرَاحَهُ يَا إِلَهِي لِيْنَا

عَلَيْكَ السَّلَامُ وَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تُجْمَلْنَا<sup>19</sup>

و قد ألقى القبض على هذه الشاعرة لما رأى المستعمر أن شعرها يشكل خطرا، و طلب منها أن تكف عن قول الشعر لكي يطلق سراحها فرفضت<sup>20</sup> و ردت قائلة:

خَالْفَةُ مَا نُبْطَلُ الْاَفْتَانِ كَأَنْشَ لَرَبْحَنَا الْحَرِيَّةَ

عَنْهَا نُسْكُنُ فِي الْجِبَالِ وَ نَهْمُهَا بِالْفَتَنَاتِيَا

عَنْهَا طَلَعْنَا لُجْبُلَ الْأُورَاسِ وَ تُوَطَّنَا فِي الْأَزْيَاسِ<sup>21</sup>

و قد أدركت هذه الشاعرة ما لشعرها من قوة التأثير على الجماهير فأصرت على اتخاذ شعرها وسيلة للكفاح.

### ثالثا: الأدوات الفنية في الشعر الشعبي

رغم أن الشعر الشعبي يحمل رسالة اجتماعية و رغم أنه اتخذ تفاصيل الحياة اليومية موضوعا له إلا أن الشاعر الشعبي قد كان على وعي تام بمختلف عناصر الشعرية التي تحقق الإثارة و الدهشة و التفاعل مع المتلقي، فلا عجب إن وجدناه يوظف استراتيجيات لغوية ليشحن نضبه بعناصر الإثارة الشعرية و التخيلية ليحقق لنضبه شرط الجمالية و الشعرية و ينأى به عن اللغة العادية القاموسية إلى لغة مشحونة بالإيحاء و الرموز و الصور. فعند قراءتنا للمقطع التالي:

لَا لَا يَا شَجْرَةَ الْكُرُوشِ<sup>22</sup> مُلَيَانَةَ حَبِّ وَ كَرْتُوشِ

الْمُجَاهِدِينَ جِيُوشِ جِيُوشِ زَدْمُوا وَ مَا يُخَافُوشِ

لَا لَا يَا شَجْرَةَ الْعَرَعَازِ مُلَيَانَةَ سُلَاحِ وَ نَازِ

هَذَاكَ ذَرَارِي تُوَاوِزُ عَلَى دِيئِهِمْ زَدُّمُوا لِلنَّازِ<sup>23</sup>

نلاحظ أن الشاعر يحشد مجموعة من الألفاظ المستمدة من قاموس الطبيعة ليشحنها بمعاني ثورية ( شجرة الكرتوش، شجرة العرعار، حب)؛ حيث تضحي شجرة البلوط تحمل الرصاص إلى جانب حب البلوط، و شجرة العرعار مليئة بالسلاح و النار. و قد وظف الشاعر شجرة العرعار لما تمتاز به من قوة إذ تستخدم في الحقول لكسر الرياح العاتية، و ربما لهذا السبب مزج الشاعر بينها و بين السلاح و النار، فامتزج الثوري بالطبيعي ليضحي النص فسيفساء تنوعت صورها.

إن حشد هذه الألفاظ الموحية يعطي للوصف جمالية و حضوراً فنياً؛ فإذا كان لشاعر الفصح باع طويل في الوصف، فإن الشاعر الشعبي قد أبدع في هذا الغرض و تفنن في صوره الجمالية. إن الشاعر بتوظيفه للفظ الموحى المستمد من قاموس الطبيعة فإنه يتجاوز التصوير المباشر إلى التصوير الفني الداخلي الذي يفصح عن حجم المأساة؛ فتضحي الطبيعة جزءاً من المحنة؛ فشجرة العرعار مزيج من ثمر و رصاص، مليئة سلاحاً و نار.

و كثيراً ما يتكى الشاعر على الخلفية الثقافية و العقيدية المشتركة بينه و بين المتلقي، لذا فهو يستعمل معجم ألفاظ مشحونة بالإيحاء العقيدي، و " الألفاظ العاطفية و القيمة سواء كانت أسماء أو صفات أو أفعال " <sup>24</sup>

يقول الشاعر عري يحي بختي <sup>25</sup>:

يَا رَبِّي يَا خَالِقِي طَفُّ ذَا الْهُولِ حَسْمَتِكَ بَجَاهِ طَهَّ الْمَدْنِي  
مَاذَا مِنْ أَسُودٍ فِي السُّجْنِ الْمُقْفُولِ مَنْ ذَا أَلَمِ قَلْبِي نَوَانِي  
مَنْ ذَا الْلَفْعَةِ سَمِّهَا وَأَعْرَ قَتُولِ مَنْ تَبَعَهَا رَأَى فَعَلُوا شَيْطَانِي  
مَا عَنَدُوشِ الْنَيْفِ فِي فَعَلُوا مَذْلُولِ مَا يَدْخُلُ فِي دِيْنِ طَهَّ الْمَدْنِي  
طَلْبَتُكَ يَا خَالِقِي طَفُّ ذَا الْهُولِ عَيْنِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى الزَّمَانِ  
ذُلُّ الْكَفْرَةِ ذُوكُ عُدْيَانِ الرَّسُولِ وَاهْبِي قَاعَ أَصْحَابِ فَعَلِ الشَّيْطَانَ<sup>26</sup>

الملاحظ أن الشاعر في هذه المقطوعة يقوم بحشد مجموعة من الألفاظ القيمة ليسقطها على الفرنسيين ( الكفرة، عديان الرسول، أصحاب فعل الشيطان، ما عندوش النيف، في فعلو مذلول) ؛ إنها ألفاظ انتقائية مبطنّة بكل معاني الاحتقار و التبخيس.

و يستعمل الشاعر أحمد بوكويرة<sup>27</sup> الطريقة نفسها مخاطباً الفرنسيين:

يَا شَيْنِينَ الدِّينِ عُدْيَانُ الْمُخْتَارِ رَأَى وَقَفَّ تَيْجَا لَكُمْ حَدُّ نَهَارُ<sup>28</sup>

نجد لفظة كفار مدعمة بلفظة شينين الدين، عديان المختار بوصفها ألفاظاً قيمة تحمل مرجعية عقيدية يجعلها الشاعر بؤرة في شعره من أجل أن يحدث حيزاً انفعالياً تواصلياً بينه و بين المتلقي. و لعل هذا ما يعزز الوظيفة التواصلية للشعر الشعبي أثناء الثورة، إذ لم يوظف كمحفز للقيام بالثورة فحسب، بل كان وسيلة لمقاومة المسخ الحضاري<sup>29</sup> و من ثم كان لا بد للشاعر أن يتوسل جمالية اللغة و الأسلوب الفني التصويري للتأثير في المتلقي، و لعل الرمز من أهم الأدوات الفنية التي تعزز التأثير و التواصل و بخاصة الرمز الديني؛ و هذا ما يعزز حضوره بكثرة في الشعر الشعبي الثوري خاصة شخصية علي كرم الله وجهه بوصفه رمزاً للبطولة و

الانتصار، و كثيرا ما يمزج الشاعر بين الرمز الديني و الأسطوري ؛ إذ يوظف سيف علي الذي حيكت حوله الأساطير؛ فهو يسقط مائة كافر عن يمينه و مائة كافر عن شماله<sup>30</sup>:

جَيْشٌ مُظَفَّرٌ نَأْضُ دَمَرَ الْأَسْتِعْمَارِ      عُقْبَةَ وَ طُبُورَ وَ أَشْبَالَ مُعَاهَا  
جَبَدَ قَلْبَ الْبَلِيِّ يَقْشُوهُ بِالْأَطْفَارِ      وَ نُزْيَةَ حِيدَارٍ نَأْضَتْ لُعْدَاهَا<sup>31</sup>

و يقصد الشاعر بثرية حيدار سيف علي. كما يوظف الشاعر الطير و العقاب (عقبة: جمععقاب، و يقدم الشاعر صورة جميلة؛ صورة الفتك بالطريدة: "تجبد قلب اللي يقشوه بالأظفار"

و بالإضافة إلى الرمز يوظف الشاعر الشعبي التناص الديني و الاقتباس من القرآن رغبة منه في تعميق الخلفية الدينية، و يحقق التناص وظيفية دلالية مثلما نجد عند الشاعر ادريسي البشير:

يَا رَبَّ الْعِبَادِ وَحَدِّ هَذَا الصِّفِّ      تُتَحَدُّ رَجَالٌ قُبُلُ الْأَجَالِ  
يُصَبِّحُ الْأَسْتِعْمَارَ مَهْرُومٌ مُكْتَفٍ      وَ يُؤَلِّي مُحَقَّقُورَ وَ آذَانُ الْأَرْدَالِ  
وَ سَلُّكُنَا كَمَا سَلُّكَ مِنْهَا يُوسُفُ      وَ سَطُّ الْجُبِّ وَ مَعَاهُ خُوْتُو الْأَطْفَالِ  
فِي مِصْرٍ بَاعُوهُ مَمْلُوكٌ مُنْصِفُ      وَ اشْتَرَاهُ أَمِيرٌ بَرْخِيصُ الْمَالِ<sup>32</sup>

لقد وظف الشاعر قصة سيدنا يوسف عليه السلام وفق متطلبات تجربته الشعورية و وعيه الفني بحقيقة النص الغائب الذي: "يسهم في استمرار النص كجوهر قابل للتجديد"<sup>33</sup> فإذا سلمنا أن التناص هو "إعادة كتابة النص الغائب في النص الحاضر"<sup>34</sup> فإن الشاعر في هذه الأبيات قد حقق لنفسه نصا مغايرا ؛ إذ تغدو القصة القرآنية و التجربة الشعورية نصا واحدا يحيل على نصره الله تعالى بحيث أن الشاعر قد حاور النص القرآني و أخذ معناه ليتوحد مع نصه وفق كفاءة فنية تعيد شحن اللفظ بكثيف المعنى؛ ففي قوله "خوتو الأطفال" يمكن أن نستدعي معنى الضعف و الصغر و الغبن فهذه العبارة توهم الجزائريين، و قد وُلد الشاعر من القصة القرآنية معنى آخر مغاير لما ورد في القصة القرآنية؛ فإخوة يوسف هم الكائدون و لكن الشاعر استدعى اللفظة و استنطقها، ليعبر من خلالها على اشتراك الجزائريين في الغبن الناتج عن الاستعمار فيختفي بذلك التناص و يستتر حتى لا نكاد نشعر به داخل النص الشعري و ذلك بتغيير المواقف و هو ما يعرف بالنفي الكلي؛ و فيه يكون "المقطع الدخيل منفيًا كلية و معنى النص المرجعي مقلوبا"<sup>35</sup>

و يستخدم الشاعر كذلك تقنية الإيجاز التناسبية أو ما يسمى بالإحالة المحضبة و هي أن يعتمد الشاعر على المشهور (قصة يوسف عليه السلام) ليشبهه به حالا معهودة فيقدم بذلك معالم دالة ذات مغزى<sup>36</sup> و هنا تتبدتجليات النص الشعري الشعبي الرؤيوية التي تتوسل النص القرآني و تتوحد معه و تتغنى الكمال الشعري. و كل هذه البراعة الفنية توحى بكفاءة الشاعر و تحكمه في أدواته اللغوية و الفنية

و يبدو أن لغة الشعر الشعبي الثوري لغة تكتيفية إيحائية، فيها من الحكم و الأمثال و التعابير الوصفية و ضروب التشبيه و الاستعارات و الاقتباس من القرآن الكريم و الحديث الشريف، بل و هناك اقتباسات من الشعر الفصيح.

و يمكن أن نستدل على هذه الفنيات بقصيدة "دخول الفرانصيص" للشاعر الشيخ عبد القادر

التي تعتبر من أجود الإنتاج الشعري الشعبي الملحون، تداولها المداحون في الأسواق و في المناسبات، و اعترف بعض الأروبيون أن هذه القصيدة أسهمت في إضرام نار الثورات، صور فيها الشاعر أهم الأحداث التي أعقبت الاحتلال، واصفا حال الأهالي و جيروت الاستعمار. يقول:

حسراه على الجوامع و على خطبائها و منابر الزخام المرفوعين  
حسراه على الصوامع و على آذانها و على أدراسها ثم الخراب  
حسراه على المساجد غلقت بيابها ضحاو اليوم يا سيدي منسيين<sup>37</sup>

حملنا الشاعر في هذا المقطع على التحسر على الوضع الذي عرفته الجزائر أثناء الاستعمار و جعلنا نعيش التجربة ألما و حزنا، بل حتى أننا نستحضر صورة للجزائر قبل الاحتلال من خلال تخيل جوامعها و صوامعها و هي تضحّ بالحياة ثم نتخيّلها و قد غادرتها الحياة:

ولآت غير وطيبة و مشات زسامها ماذا يُغيّر المنكّر ذا اللعين<sup>38</sup>

و إنما حملنا على ذلك من خلال بساطة الألفاظ و واقعيتها و كذلك من خلال تكراره للفظه "حسراه" المبطنة بكل معاني التحسر و التغير من وضع بهيج إلى وضع ساكن و مشين.

بالإضافة لاستخدامه لوفرٍ من الاستعارات و الكنايات التي تسهم في تجسيد المعنى و تصويره:

حسراه على زجال البهجة أعطوا مآينة و انغلبوا  
الفرانصيص وُلد العُلجة من كل جيه جانا يدبو  
و المؤمنين ضجّت ضجة حتى الصغار منها شابوا<sup>39</sup>

وظفّ الشاعر في هذه الأبيات كناية: "الصغار شابوا" للدلالة على أهوال وقوع الجزائر تحت الاستعمار، و لتصوير يوم الزحف؛ (زحف الجيوش الفرنسية على الجزائر)، كل ذلك باستخدام السرد.

و يوظف كذلك التشبيه للدلالة على مكانة مزغنة:

أمن ذرى يا فضلا حسرة وينا مزغنة  
سلطانة المدون الجملا وولات غير في يد اعدانا  
ولات للنصاري شينين الدين<sup>40</sup>

الملاحظ أن الشاعر يورد تشبيها هو منتهى البلاغة؛ إذ يلحق فيه المشبه (مزغنة) بالمشبه به (سلطانة) حتى يصبحان وجها واحدا فيتبادر إلينا أن مزغنة كانت أبهى المدن قاطبة.

إن لغة القصيدة الشعبية الثورية عموما هي لغة عامية و أحيانا هي عامية أقرب إلى الفصحى تخلو من التعقيد و الغموض، إلا في بعض القصائد التي يكتنفها الرمز أو الإيحاء، أما غيرها فلا يحتاج إلى مهارة و إعمال فكر لتفجير أبعادها<sup>41</sup>

إن هذه الأبعاد الجمالية هي التي ضمننت للقصيدة الشعبية الثورية استمراريته و خلودها، بالإضافة إلى صدقها و عفويتها النابعة من صدق التجربة الشعورية، و من هنا جاز لنا أن نعتبرها كيانا لغويا: يخاطب الإنسان و الهواجس التي تحرك الكوامن الداخلية لدى المتلقي" و بالتالي فهي تحدث داخله المتعة الشعورية و بهذا تجعل النفس تتوق و المشاعر تتحرك في أعماق الإنسان بفضول لا محدودية له.

الخاتمة:

نظرا للانكسارات المتتابعة للأحلام و الأمانى و علاقات الإنسان بالإنسان صار الفرد الجزائري يحمل انكسار القلب كما كان يحمل أتعاب يومه، فأصبحت كل الأفواه فما واحدا ينطق بالتعبير عن همومه، انطلاقا واحدة بصور عفوية و تلقائية متناهية تحمل له اطمئنانا و سكينه روحانية، لم تمتلك نفوس الجزائريين حينها إلا أن تستصرخ متغنية أو تغني مستصرخة، فأوحت لها الآلام و الأشجان حسا فنيا يتدفق حلاوة بأشعار شعبية ثورية تميزت بجزالة المعنى و رقة اللفظ و اكتنازه بالحكم و الأمثال. و تتميز الأشعار الشعبية بالكلمة العفوية التي يكون ظاهرها بسيط و في فحواها عمق التعبير و لا يمكن إنكار أهمية هذا النوع من الأدب؛ فهو بحق مرآة تعكس جلال و جمال الحياة و كل طموحات الشعب و خيباته.

و هو وثيقة قيمة تطلعنا على ماضيها. و هو مرجع حافظ على تراثنا و قيمنا. و يعمل الشاعر الشعبي على خلق حالة من التوافق و الائتلاف بين حركة النفس و حركة العالم الخارجي من خلال توظيف الرمز و التناص و التصوير.

إن الشعر الشعبي بكل أغراضه و فنونه متنوع الصور؛ إذ يحاول الشاعر من خلاله أن يبرز كل ملامح الحياة بكل أبعادها و تفاصيلها، و بهذا استطاع الشاعر الشعبي أن يصور و بنية و جمالية ما يرى و يعايش و ذلك أن الشعر الشعبي حدث سماعي بالجمال و التصوير و الوصف الذي يتجسد بكل مقاصده في حاضرنا و في ماضيها أيضا.

لهذا فإن الشعر الشعبي الثوري قد بقي صداه في الذاكرة الشعبية؛ إذ حرك الهواجس و أرخ للمشاعر في لغة محتشدة بالطاقة الشعورية و مثقلة بجماليات التصوير تفوح بزمن مضى.

و يعد الشعر الشعبي بكل أغراضه طيف متنوع الألوان و الصور؛ يحوي الحياة كلها؛ حلوها و مرها بلا هوادة، و استطاع الشاعر الشعبي أن يتخذ مضمارا ليؤرخ عبره انتصاراته و بمنتهى الفنية و الجمالية التي جعلت منه حدثا سماعيا؛ حدث بما ينطوي عليه من موضوعات وطنية و ثورية، و سماعي بانياته و إيقاعه الموسيقي، ليبقى صداه في الذاكرة، يلهب الأفتدة من خلال لغته المشحونة بالطاقة الشعورية و المثقلة بالجماليات التي تدثر وهج الواقع.

لقد حاور الشاعر الشعبي الواقع و استغور قيمه الوطنية عبر توظيفات جمالية مكنته من هندسة النص بفيوض بلاغية تجاوزت النمطية بمسافات فنية.

### هوامش وإحالات المقال

<sup>1</sup> ينظر: محمد بنيس " الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها " منشورات توبقال . الدار البيضاء ، المغرب ط2 ، 2001.ص:27

<sup>2</sup> محمد المرزوقي: " الأدب الشعبي " الدار التونسية للنشر. تونس ص:51

<sup>3</sup> مارون عبود: " الشعر العامي " دار القصة للنشر. الجزائر.ص:63

<sup>4</sup> ينظر أحمد قشيبونة " الشعر الغض، اقترايات من عالم الشعر الشعبي " منشورات رابطة الأدب الشعبي. الجزائر.ص:63

<sup>5</sup> \* لخضر بن خلوف: شاعر شعبي و فقيه. عاش في ق9هـ عمّر طويلا(125) سنة

<sup>6</sup> \* موقعة مازجران: وقعت بين الاسبان و الجيش الجزائري

<sup>7</sup> مقدمة ديوان لخضر بن خلوف. جمعه و حققه محمد بن الحاج. دار ابن خلدون. تلمسان ص:23

<sup>8</sup> ينظر أحمد قشيبونة " الشعر الغض " ص:65

<sup>9</sup> المرجع نفسه.ص:66



- <sup>10</sup> مجلة آمال، عدد خاص بالشعر الملحون. إصدار وزارة الأخبار. الجزائر. العدد4. نوفمبر. 1969. ص:73.
- <sup>11</sup> أحمد قشيبونة: "الشعر الغض" ص:66
- <sup>12</sup> المرجع نفسه. ص:66
- <sup>13</sup> المرجع نفسه. ص:67
- <sup>14</sup> المرجع نفسه. ص:67
- <sup>15</sup> دريسي البشير شاعر شعبي من مدينة بسكرة
- <sup>16</sup> ديوان الشعر الشعبي في الثورة التحريرية، تقديم أحمد حمدي. منشورات جائزة الأوراس. الجزائر. ص:50
- <sup>17</sup> \* فاطمة منصوري شاعرة من الوادي 1925
- <sup>18</sup> المرجع نفسه. ص:42
- <sup>19</sup> المرجع نفسه. ص:43
- <sup>20</sup> مجلة آمال عدد خاص بالشعر الملحون اصدار وزارة الأخبار الجزائر العدد4 نوفمبر 1969 ص73
- <sup>21</sup> المرجع نفسه ، ص 74.
- <sup>22</sup> \* الكروش: شجرة البلوط
- <sup>23</sup> المرجع نفسه ، ص 74.
- <sup>24</sup> غريب اسكندر "الاتجاه السيميائي في نقد الشعر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ص30
- <sup>25</sup> \* يحي بختي: شاعر شعبي من الجلفة
- <sup>26</sup> ديوان الشعر الشعبي ص 90
- <sup>27</sup> \* أحمد بوكويرة شاعر شعبي من الأغواط
- <sup>28</sup> المرجع نفسه ص91
- <sup>29</sup> ينظر بولرباح عثماني "دراسات نقدية في الأدب الشعبي" الرابطة الوطنية للأدب الشعبي الجزائر ص 20
- <sup>30</sup> ينظر أحمد قشيبونة الشعر الغض ص 75
- <sup>31</sup> المرجع نفسه ص75
- <sup>32</sup> ديوان الشعر الشعبي ص 100
- <sup>33</sup> عموري السعيد" سلام على البردة دراسة موضوعاتية تناصية" الغرير للطباعة و النشر دبي ص:75
- <sup>34</sup> ينظر المرجع نفسه ص75
- <sup>35</sup> المرجع نفسه ص:76
- <sup>36</sup> ينظر غريب اسكندر "الاتجاه السيميائي في نقد الشعر ص27
- <sup>37</sup> مجلة آمال ص:91
- <sup>38</sup> المرجع نفسه ص92
- <sup>39</sup> المرجع نفسه ص92
- <sup>40</sup> المرجع نفسه ص92
- <sup>41</sup> ينظر عثماني "دراسات نقدية في الشعر الشعبي"، وزارة الثقافة. الجزائر، ص38بولرباح

### قائمة المصادر والمراجع

1. أحمد حمدي تقديم ،ديوان الشعر الشعبي في الثورة التحريرية، منشورات جائزة الأوراس. الجزائر.
2. دريسي البشير شاعر شعبي من مدينة بسكرة
3. عموري السعيد" سلام على البردة دراسة موضوعاتية تناصية" الغرير للطباعة و النشر دبي .
4. غريب اسكندر "الاتجاه السيميائي في نقد الشعر، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة.
5. مارون عبود:" الشعر العامي" دار القصة للنشر. الجزائر.
6. مجلة آمال عدد خاص بالشعر الملحون اصدار وزارة الأخبار الجزائر العدد4 نوفمبر 1969 .
7. محمد المرزوقي:" الأدب الشعبي" الدار التونسية للنشر. تونس .
8. مقدمة ديوان لخضر بن خلوف. جمعه و حققه محمد بن الحاج. دار ابن خلدون. تلمسان .

9. ينظر أحمد قشيبونة " الشعر الغض، اقترايات من عالم الشعر الشعبي " منشورات رابطة الأدب الشعبي. الجزائر.
10. ينظر بولرباح عثمانى " دراسات نقدية في الأدب الشعبي " الرابطة الوطنية للأدب الشعبي للجزائر .
11. ينظر غريب اسكندر " الاتجاه السيميائي في نقد الشعر .
12. ينظر: محمد بنيس " الشعر العربي الحديث بنياته وإبدالاتها " منشورات توبقال . الدار البيضاء ، المغرب ط2 ، 2001.